بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين
محمد وآله الطيبين الطاهرين
واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين

مقالات

نشرة تعالج مقولات فكرية وثقافية
ومفاهيمية مؤثرة في مجتمعاتنا المتموّجة

سلسلة: سياسات الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

كيف صان الإمام الحسن عليه السلام الأمن السياسي للشيعة ولعامة المسلمين؟

كيف حقق الإمام الحسن المجتبى عليه السلام الأمان السياسي لعامة المسلمين ولشيعة أهل البيت عليهم السلام، من خلال الاشتراطات التي ضمّنها معاهدة الصلح مع معاوية بن أبي سفيان؟

المحرر:
صادق جعفر

رضوى
للانتاج الثقافي

كيف صان الإمام الحسن عليه السلام الأمن السياسي للشيعة ولعامة المسلمين؟

في هذه المقالة :

ما هي الآليات التي اعتمدها الإمام الحسن المجتبى عليه السلام في تحقيق الأمن السياسي لشيعته ولعامة المسلمين؟

المحتويات:

- زعماء الشيعة ومعاوية.
- الوافدين من زعماء الشيعة على معاوية.
- حديث معاوية مع أم الحكم.
- مواقف زعماء شيعة الكوفة.
- مواقف زعماء شيعة البصرة.
- رجوع معاوية لأم الحكم.

في المرحلة التي امتدت لعشر سنوات تقريباً بعد صلح الامام الحسن عليه السلام عاش الناس عامة وشيعة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاصة في أمن وأمان عقائدي واقتصادي وسياسي ومجتمعي، وكل ذلك بفضل تدبير الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، وكان نفوذه وسؤدده وهيبته هي من أكبر الضمانات التي أقرّت هذا الحال، ولعل كلمات معاوية لعائشة بنت عثمان بن عفان هي أفضل توضيح عن طبيعة ما كان يجري.

قال ابن كثير: قال اللّيْث: حدّثني علوان بن دواد، عن صالح بن كيسان: أنَّ معاوية قَدِمَ المدينة أَوَّل حَجَّةٍ حَجَّها بعد اجتماع النّاس عليه (أي السنة الرابعة من الصلح)، فلقِيهُ الحسنُ والحسينُ ورجالٌ من قُرَيْش، فتوجَّه إلى دار عثمان بن عفّان فَلَمَّا دَنَا إلى باب الدّار صَاحَتْ عائشةُ بنت عُثمان ونَدَبت أباها، فقال معاوية لمَنْ معهُ: انْصَرِفُوا إلى منازلكُمْ، فَإِنَّ لي حاجةً في هذه الدَّار.

فانْصرفُوا ودخل فَسكَّنَ عائشةَ وأَمَرها بِالكفِّ، وقال لها: يا بنت أخي، إنّ النّاس أعْطَوْنا سُلطانًا، فَأَظْهَرْنَا لهُم حِلمًا تَحْتَهُ غَضَبٌ، وأَظْهَرُوا لنا طاعةً تَحْتَهَا حِقْدٌ، فَبِعْنَاهُمْ هذا وبَاعُونا هذا، فَإِنْ أَعطيناهُم غيْرَ ما اشْتَرَوْا شَحُّوا على حقّهِم، ومع كُلِّ إنسانٍ منهُم شِيعَةٌ وهُو يَرَى مكان شيعتِهِم، فإِنْ نكثْناهُم نَكَثُوا بنا، ثُمّ لا ندْري أَتَكُونُ لنا الدّائرةُ أمْ علينا؟ وأنْ تكُوني ابنةَ عثمان أمير المؤمنين خَيرٌ من أن تكوني أَمَةً من إِمَاءِ المسلمينَ، ونِعْمَ الخَلَفُ أنا لكِ بعد أَبيكِ.

وفي صيغة أخرى لهذه الحادثة برواية ابن قتيبة، قال: حينما دخل معاوية دار عثمان قالت عائشة بنت عثمان: وا أبتاه.

وبكت، فقال معاوية: يا ابنة أخي، إنّ الناس أعطونا طاعة وأعطيناهم أماناً، وأظهرنا لهم حلماً تحته غضب، وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد، ومع كلّ إنسان سيفه وهو يرى مكان أنصاره، فإن نكثنا بهم نكثوا بنا، ولا ندري أعلينا تكون أم لنا؟ ولَأَن تكوني بنت عمّ أمير المؤمنين خير من أن تكوني امرأة من عرض المسلمين.

وهذا الكلام يلخص المعادلة كلها، فعن طريق الصلح صار السلطان له مقابل الأمان للناس، والحلم منه الذي يستعر تحته غضب على الناس مقابل طاعة الناس له التي تحتها حقد عليه، وإنه لو نكث لنكثوا، دون أن يضمن أن تكون النتائج لصالحه، وبالتالي فإن بقاء الوضع هكذا هو أصلح شيء في الوقت الحاضر.

وسنشير هنا إلى الأمان السياسي الذي أحرزه صلح الإمام الحسن عليه السلام للناس وللمسلمين عامة ولأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولشيعتهم خاصة، وسنستعرض مواقف قيادات الشيعة العراقيين حينما دعاهم معاوية لزيارته في الشام، وكيف تعاملوا معه، وأنه كان يحسب لهم ألف حساب ولم يجرؤ على التعرض لأحد منهم بسوء طالما كان الإمام الحسن عليه السلام حيّا.

- زعماء الشيعة ومعاوية:

دعا معاوية زعماء الشيعة العراقيين إلى الشام، خمسة من زعماء الكوفة وخمسة من زعماء البصرة، ولا يوجد إفصاح تاريخي دقيق عن السنة التي دعاهم فيها، ولكن لعل ذلك حصل في السنة الثانية أو الثالثة من الصلح وذلك لإيراد المؤرخين مداخلات عمرو بن العاص في اللقاءات وهو قد مات بمصر في ليلة الفطر من عام ٤٣هـ(الطبري) كما قال العديد من المؤرخين، ويبدو مما جرى أن معاوية كان يريد أن يجس نبض ولاء هؤلاء الرجال ومدى تفانيهم لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن كان لا زال قائماً وعلى ما علمه عنهم سابقاً، أو أنهم اصبحوا ممن يُرجى استمالته بالمال والسياسة والمهادنة إلى الخط الأموي في الدولة.

عن كتاب الاختصاص:(المفيد) عن محمد بن الحسين، عن محمد بن جعفر المؤدب، عن محمد بن عبدالله ابن عمران، عن عبدالله يزيد الغساني يرفعه، قال: قدم وفد العراقيين على معاوية، فقدم في وفد أهل الكوفة عدي بن حاتم الطائي، وفي وفد أهل البصرة الأحنف بن قيس وصعصعة بن صوحان، فقال عمرو بن العاص لمعاوية: هؤلاء رجال الدنيا (أي ملئوا الدنيا وشغلوها وشأنهم عظيم)، وهم شيعة علي الذين قاتلوا معه يوم الجمل ويوم صفين، فكن منهم على حذر.

فأمر لكل رجل منهم بمجلس سري واستقبل القوم بالكرامة.

- الوافدين من زعماء الشيعة على معاوية:

وفيما يلي أخبار الوافدون من زعماء الشيعة على معاوية بالشام، وقد أورد العديد من المؤرخين رواياتهم ومواقفهم هذه بصورة أو بأخرى، ونحن ننقلها من كتاب العباس بن بكار الضبي فهي أشمل الروايات وأوضحها، وقد رواها عن الحسن بن الحسين بن عاصم، أو الهيثم بن عدي بن عبدالرحمن الثعلبي الطائي البحتري، أو كلاهما فكلا الاسمين يردان في الكتاب على أنهما الرواة دون توضيح للأسانيد أو لكيفية وصول الرواية لصاحب الكتاب.

ويبدأ الكتاب بحديث جرى بين معاوية وأخته أم الحكم، والذي يتضح منه أن معاوية وأصحابه كانوا يناقشون أحوال وأخبار شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وولائهم وإخلاصهم له، ولعلهم كانوا في مناقشة كيفية استمالتهم.

- حديث معاوية مع أم الحكم:

حدّث الْحسن بن الْحُسَيْن بن عَاصِم قَالَ: حضرت مجْلِس مُعَاوِيَة بن أبي سُفْيَان وَعِنْده كبراء الْكُوفَة ورؤساء الْقَبَائِل، وَقد أجروا أَخْبَار شيعَة عَليّ بن أبي طَالب عليه السلام إِلَى أَن جن اللَّيْل، فَلَمَّا جن اللَّيْل مضى إِلَى دَار أخته فَوَجَدَهَا ساهرة، فَقَالَ: يَا أم الحكم، مَا الَّذِي أسهرك؟

قَالَت: أسهرني الْعجب مِمَّن عدل عَنْك إِلَى عَليّ بن أبي طَالب وَجعله مثلك! وَأَنت مُعَاوِيَة بن أبي سُفْيَان صَخْر بن حَرْب بن أُميَّة، حصنها عِنْد التشاجر وَكَانَ حَرْب عمادها عِنْد التفاخر وفارسها عِنْد الْفَزع وفاتكها عِنْد الْعسر، وَإِن مُعَاوِيَة كَاتب وَحي الله ورديف رَسُول الله.

فَقَالَ لَهَا مُعَاوِيَة: يَا أختاه! لَا يكذبنك ظَنك وَلَا يبعد عَنْك ذهنك! وَالله مَا عادلت عليّاً قطّ، فَكيف وَهُوَ عَليّ بن أبي طَالب بن عبدالْمطلب بن هَاشم من ولد إِبْرَاهِيم الْخَلِيل!؟ وَكَانَ عبدالْمطلب بن هَاشم جواد الْعَرَب وَفَارِس الكرب الْمطعم بالسغب!؟ وَكَانَ أَبُو طَالب السهل الطَّرِيقَة الحامي الْحَقِيقَة!؟ وَكَانَ عَليّ بن أبي طَالب قَاضِي الْأمة وأعظمهم فخراً وَأكْرمهمْ مجداً، حامي الذِّمار عَزِيز الْجَار صهر الرَّسُول وَسيد الكهول وَزوج البتول!؟ فأيم الله، لأصبحن جَالِساً ولأُسمعنّك مِمَّن وَفد عَليّ من سَائِر الْعَرَب خلاف مَا ظَنَنْت وَغير مَا وصفت.

فَلَمَّا أصبح، قَالَ: اجلسي فِي قبتك وأرخي عَلَيْك سجفك، لتسمعي مقَالَة من يدخل عَليّ من وُجُوه بني أُميَّة

ورؤساء أهل الْكُوفَة وأخبارهم.

- مواقف زعماء شيعة الكوفة:

- حجر بن عدي الكندي:

(رجعنا إلى متن الكتاب): فَلَمَّا مثلُوا واستقرت بهم مجَالِسهمْ قَالَ مُعَاوِيَة للحاجب: أَدخل عَليّ حجر بن عدي الْكِنْدِيّ الْكُوفِي.

فَأذن لَهُ، فَدخل وَسلّم، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَة: يَا بن الأسنّ الْقَبِيح المنظر، الْقَاطِع بِنَا الْأَسْبَاب الْمُسَمّى بالأحزاب، والملتمس بحربنا الثَّوَاب والمساعد علينا أَبَا تُرَاب.

فَقَالَ (أي حجر): يَا مُعَاوِيَة، لَا تذكر رجلاً كَانَ بِالدّينِ بروراً، راعي الْأمة وَخَلِيفَة النُّبُوَّة المحامي عَن الْإِسْلَام أَولاً وآخراً، خَائفًا لله وَبِمَا يرضيه عَارِفًا عَاملا بدين الله، طَوِيل الرُّكُوع طَاهِر الْخُشُوع قَلِيل الهجوع قَائِماً بالحدود مُتَوَجهاً للمعبود، طَاهِر السريرة مَحْمُود السِّيرَة نَافِذ البصيرة، مَلَك أمرنَا فَكَانَ كبعضنا، لم يُبطل حَقًا وَلم يُظلم خلقاً ولم يخف إِلَّا من الله عز وَجل.

ثمَّ بَكَى حَتَّى كَاد يتْلف، ثمَّ رفع رَأسه وَقَالَ: أما توبيخك إِيَّايَ وَمَا كَانَ مني، فَاعْلَم أَيهَا الْإِنْسَان أني غير معتذر مِمَّا جنيت وَلَا مكترث مِمَّا بِهِ أتيت، فأعلن سرك وأظهر أَمرك.

فَقَالَ مُعَاوِيَة: يَا غُلَام، أخرجه عني فقد بلغ مني، وَلَوْلَا مَا سبق مني لما فَاتَهُ طعم السَّيْف، وَلَعَلَّ ذَلِك يكون بعد هَذَا.

- عمرو بن الحمق الخزاعي:

ثمَّ قَالَ للحاجب: أَدخل عَليّ عَمْرو بن الْحمق الْخُزَاعِيّ.

فَلَمَّا دخل قَالَ: السَّلَام عَلَيْكُم يَا معشر الكهول والشباب من الرِّجَال وَالصبيان.

فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَة: يَا أخا خُزَاعَة، لم لَا تخاطب بأمير المؤمنين والمسلمين؟

قَالَ: سَمِعت رَسُول الله ﷺ يَقُول (بَدَأَ الْإِسْلَام غَرِيبا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ)، وَهَذَا الْيَوْم الَّذِي وعد بِهِ رَسُول الله ﷺ.

فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَة: إِذاً لَا نؤاخذك لِأَنَّك أشهرت سَيْفك وأهويت لنا حتفك وأطلت الْإِعْرَاض وأجررت رسنك، مَعَ كلال بغرور جشمك الْمَحْذُور، وَكَيف رَأَيْت صنع الله بِنَا وَبِه؟ ألم تضق برحيله وعارضة أَجله؟

فَبكى عَمْرو بن الْحمق حَتَّى وَقع على وَجهه، ثمَّ أَفَاق وَقَالَ: بِأبي وَأمي من ذكرت وتنقّصت، كَانَ وَالله الْعَالم بِكِتَاب الله الْعَامِل بِحكم الله الْمَحْمُود عِنْد الله المستمسك بِسنة رَسُول الله ﷺ، الزَّاهِد فِي الفانية الرَّاغِب فِي الْبَاقِيَة، لم يضمر تكبراً وَلم يظْهر مِنْهُ تجبر، يعْمل بِمَا يُرْضِي الله عَنهُ وَيقرب من رَحْمَة الله، فَصَلَاة الله عَلَيْهِ وتحياته وَبَرَكَاته، وَلَقَد ضرّ بنا فَقده وتمنينا الْمَوْت بعده. وَأما أَنا يَا مُعَاوِيَة فِي خَاصَّة نَفسِي، فقد لعمري دانيت مِنْك أوغاد السامري وَأَوْلَاد الطُّلَقَاء من بني أُميَّة، وَمَا ذَاك إِلَّا لأمر مفعول وتقديرات مِنْهُ ليحيط بكم غَضَبه، وَهَذِه أَحْوَال ألهمكم الله فعالها ليدخلكم ناره سرمدا. وددت أَنِّي قتلت بَين يَدَيْهِ وبمرافقة الْأَبْرَار الَّذين اسْتشْهدُوا كعمار وَمن شاكله وَلَقَد استرحت الْيَوْم من ملاقاة الأشرار فِي هَذَا الْيَوْم الظامىء المظلم.

فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَة: لَوْلَا علمي بِمَا تصير إِلَيْهِ لعجلت ذَلِك وَمَا تلبثت.

ثمَّ قَالَ: أخرجه.

- عدي بن حاتم الطائي:

(وقال معاوية): أَدْخل عَليّ عدي بن حَاتِم الطَّائِي.

فَلَمَّا دخل وَسلم، قَالَ مُعَاوِيَة: مَا أبقى لَك الدَّهْر من حب عَليّ بن أبي طَالب؟

قَالَ: كحب أم مُوسَى إِذْ ألقته فِي اليم وعدوه فِرْعَوْن.

ثمَّ قَالَ: حبي وَالله لَهُ شَدِيد لَا يقل بل يزيد، وَلَوْلَا حبه لما كنت أَرْجُو الْجنَّة، وَلَا أنالها إِلَّا بحبه وَشر أبي يزيد، أما كَانَ رَسُول الله ﷺ أقامه علماً يَوْم حجَّة الْوَدَاع ونادى عَلَيْهِ يَوْم غَدِير خم (أَلا من كنت مَوْلَاهُ فعلي مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَال من وَالَاهُ وأخذل من خذله وانصر من نَصره)؟ فالحجة عَلَيْك وعَلى غَيْرك وعَلى كل من شهد ذَلِك الْيَوْم وَسمع كَلَام مُحَمَّد ﷺ، فَمَا نزل من الأقتاب إِلَّا وَقد تَفَرَّقت قُلُوبنَا شعبًا.

فَقَالَ (معاوية): قد كَانَ ذَلِك. وَكَيف رضاك عَن ولدك زيد؟

فَقَالَ (عدي): كَيفَ أَسخط عَلَيْهِ وَقد أقرّ عَيْني بقتل فَارس الْجَيْش!؟

فَقَالَ عَمْرو بن الْعَاصِ: الْأَمر فَوق ذَلِك يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ، أصبح وَالله عدي بعد صفّين ذليلاً.

- عمرو بن وائلة الكناني:

قَالَ الْهَيْثَم: وَأدْخل من بعده عَمْرو بن وَاثِلَة الْكِنَانِي، فَلَمَّا دخل وَسلم رحب بِهِ مُعَاوِيَة، فَقَالَ الْقَوْم: هَذَا الَّذِي رَحبَتْ بِهِ يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ هُوَ خَلِيل عَليّ بن أبي طَالب، وَفَارِس الْعرَاق وشاعرهم، وَلَقَد أنضج أكبادنا وأحرق جلودنا بنبله وفضحنا بطعناته وضرباته، علام رَحبَتْ بِهِ وقربته مِنْك!؟ فَهَل نسيت مَا جرى علينا يَوْم صفّين!؟ وَلَقَد كدّر علينا الْحيرَة وأفحش أعراضنا بِلِسَانِهِ.

وَصَارَ الْجَمَاعَة ينالون مِنْهُ وَمن عرضه، فَغَضب عَمْرو بن وَاثِلَة، وَقَالَ: يَا مُعَاوِيَة، مَا سبني هَؤُلَاءِ وَأَنَّهُمْ لأقل من ذَلِك، وَمَا سبني غَيْرك، فَإِن لم تجزني من سبني وَإِلَّا حق عَليّ سبك وشتمك.

فَقَالَ مُعَاوِيَة: هَذَا عمرو بن الْعَاصِ ومروان بن الحكم وَسَعِيد بن الْعَاصِ.

فَقَالَ عَمْرو بن وَاثِلَة: أما عمرو بن الْعَاصِ فأنطقته خِيَانَة أمه وَمَا أَتَت بِهِ من الزِّنَا، وَأما مَرْوَان بن الحكم وَسَعِيد بن الْعَاصِ فأنطقتهما خِيَانَة الْحجاز، وَأما ابْن أَبِيه فَإِنَّهُ أنطقته خيانة تهَامَة، وَأما ابْن أخيك فَوَهبته لَك.

فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَة: يَا بن وَاثِلَة، مَا أبقى لَك الدَّهْر من حب عَليّ بن أبي طَالب.

قَالَ: كحب الفاقد لأَخِيهَا وَزوجهَا وَوَلدهَا، وَإِلَى الله تَعَالَى أشكو التَّقْصِير.

فَقَالَ: مَا أبقى لَك الدَّهْر من الوجد عَلَيْهِ؟

قَالَ: كوجد الْعَجُوز المقلات.

فَقَالَ: مَا بلغ من بغضك لنا؟

قَالَ: بغض آدم لإبليس لَعنه الله.

فَقَالَ مُعَاوِيَة: كَأَنَّك مِمَّن خذل أَمِير الْمُؤمنِينَ عُثْمَان يَوْم الدَّار، والشاهر علينا سَيْفك يَوْم صفّين.

فَقَالَ عَمْرو بن وَاثِلَة: أما قَوْلك فِي قتل عُثْمَان وتركي نصرته، لأَنا رَأَيْنَاك وَأَنت ابْن عَمه ونازل بإزائه وَقد اسْتَغَاثَ بك فَتركت إِجَابَته وأنت ابْن عَمه، فهان علينا ذَلِك، وتربصت بِنَفْسِك عَنهُ فَزعًا من الْمنون، وَلَو أنك أظهرت فِي ذَلِك الْيَوْم مَا قد أعلنته الْيَوْم لما كنت تقعد هَذِه الْقعدَة وَلَقَد كنت أول طريح لُمحَمد بن أبي بكر، وَرَأَيْت من خذله من الْمُهَاجِرين وَالْأَنْصَار فوسعني مَا وسعهم.

فَقَالَ مُعَاوِيَة: أَلَيْسَ طلبتي بدمه نصْرَة لَهُ!؟

فَقَالَ لَهُ عَمْرو بن وَاثِلَة بِعُذْرِهِ فِي ذَلِك: وَلَكِن يصيبك كَقَوْل عبيد، حَيْثُ يَقُول:

فَإِن قتلت فَلَا تطلب بثائرتي

وإن مَرضت فَلَا ألزمك عوادي

فَقَالَ الْقَوْم: اقتله يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ فقد أجلى نَفسه.

فَقَالَ: كلا، قد جعلت لَهُ الْأمان. أخرجه أيها الْحَاجِب.

- هانئ بن عروة المرادي:

قَالَ الْهَيْثَم بن عدي: وَأدْخل من بعده هانئ بن عُرْوَة، فَلَمَّا دخل قَالَ لَهُ مُعَاوِيَة: أَنْت المائل علينا مَعَ عَليّ بن أبي طَالب الْعَدو الْمُحَارب، الْخَارِج علينا فِي جمَاعَة الْمُسلمين يَوْم صفّين.

فَقَالَ هانئ بن عُرْوَة: أما خروجي عَلَيْك يَا بن هِنْد، فإنني غير معتذر مِنْك، وَلَو كنت مبارزي يَوْم صفّين لقد كنت أُيتم مِنْك هَذَا الْمجْلس، وَكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ الْجُلُوس لَو أنهم بارزوا لأعولت عَلَيْهِم نِسَاؤُهُم فِي جملَة المعولات، وَإِنَّمَا تربّصت بِنَفْسِك عَن أَن تلْحق الْكِرَام، فوَالله مَا أَحْبَبْنَاك مُنْذُ عرفناك وَلَا قلبنا السيوف الَّتِي فِيهَا جالدناك وَإِنَّهَا لحداد بأيدي أنَاس شَدَّاد، وَإِن نصر الله لينزل علينا وَإِنَّا لنعرف أيادي الله عز وَجل علينا.

فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَة: أتأكل المستحسن لرعايتك والمضمر لكفايتك!؟ فَمَا حَاجَتك؟

قَالَ: أن تتركني كفاف، لَا تُعْطِينِي وَلَا تطمع فِي وصالي، وَأن تأيس فِي مودتي، وإنني من الله كافيات نعمتي وَأَنا اشكر الله على نعْمَته وعَلى مَا أولاني من أهل وَولد وَمَال وَكَثْرَة عشيرة.

فَقَالَ: أَنا أفعل ذَلِك إِن شَاءَ الله تَعَالَى.

ثمَّ قَالَ للحاجب أخرجه.

- مواقف زعماء شيعة البصرة:

- صعصعة بن صوحان العبدي:

وَتقدم إِلَى الوافدين من أهل الْبَصْرَة أن يدْخل وَاحِد بعد وَاحِد، قَالَ الْهَيْثَم بن عدي: دخل من بعد أهل الْكُوفَة صعصعة بن صوحان الْعَبْدي وَكَانَ من جملَة الْبَصرِيين الوافدين، فَلَمَّا دخل عَلَيْهِ وَرَأى الرِّجَال عَلَيْهِم السِّلَاح قَالَ: لَا إِلَه إِلَّا الله سُبْحَانَ الله وَالله أكبر.

فَالْتَفت مُعَاوِيَة يَمِينا وَشمَالًا فَلم ير مَا يكرههُ، فَقَالَ: يَا بن صوحان، مَا أظنك تعرف الله تَعَالَى.

قَالَ: بلَى، إنه رَبِّي وَرب آبَائِي الْأَوَّلين، يحيي وَيُمِيت وَهُوَ بالمرصاد، كَبِير متعال وَمن وَرَاء الْعباد.

فَقَالَ مُعَاوِيَة: كنت أحب أن أراك فِي هَذَا الْمقَام حَتَّى يصيبك ظفر من أظفاري أُهدّئ بِهِ نَفسِي مِمَّا تَجدهُ مِنْك وَمن مراراتٍ أدخلتها بكلامك وَصدق قتالك يَوْم صفّين على قلبِي، وَلَقَد كنت أتوقع عذرك يصلني مَعَ الترغيبات الَّتِي رغّبتك علْ أني أقاسمك شطر قلبِي، فَمَا فعلت.

فَقَالَ لَهُ صعصعة: وَكَذَلِكَ كنت أَنا أَقُول أن لَا تقعد هَذِه الْقعدَة وَلَا تستعير هَذِه الْعَارِية، وَلَقَد فرحت لَك لِأَنَّهُ مقَام يورثك النَّار فِي لظى الخلود السرمد، وَقد كنت أحب أن لَا أحييك بِهَذِهِ التَّحِيَّة حَتَّى تفي مقادير الله تَعَالَى فِيك.

وَأما قَوْلك لَو عذرت لقاسمتك شطر دولتك، فَإِن رَسُول الله ﷺ لَوفائي لَهُ وحفظي وَصيته وتلزّمي بسنته فَيكون أَمْرِي فِي دولته ومملكته كأمره، وَمَا عِنْد الله خير وأبقى للأبرار.

فَالْتَفت مُعَاوِيَة إِلَى عَمْرو بن الْعَاصِ، وَقَالَ لَهُ: أوسع لخالك حَتَّى يجلس إِلَى جَنْبك.

فَقَالَ عَمْرو: لَا أوسع لَهُ، إنه ترابي.

فَقَالَ صعصعة: أجل وَالله، من التُّرَاب خلقت وَإِلَيْهِ أَعُود وَمِنْه أبْعث، وانك يَا بن الْعَاصِ نَارِي من النَّار خلقت وإليها تعود.

فَضَحِك مُعَاوِيَة حَتَّى اسْتلْقى على صفحته، ثمَّ عَاد فَقعدَ وَقَالَ: يَا بن صوحان، إنما أنت تهزل بلسانك وتفرح سلطانك وَمَا تنظر فِي الْأُمُور وَالْأَيَّام ونوادر الْكَلَام، وَالله لقد هَمَمْت أن أُحمّلك خُطب الْعرَاق.

فَقَالَ: وَالله لَو رمت ذَلِك لغزوتك فِي مائَة ألف أَمْرَد على مائَة ألف أجرد.

فَامْتَلَأَ مُعَاوِيَة غيظاً وأطرق طَوِيلاً، وَرفع رَأسه وَقَالَ: لقد أكرم الله قُرَيْشًا إذ يَقُول لنَبيه مُحَمَّد ﴿**وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ**﴾(الزخرف ٤٤).

فَقَالَ لَهُ صعصعة: وَمَا قَالَ الله ﴿**وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ**﴾(الأنعام ٦٦)، أما القَوْل الأول فلرسول الله ولقومه من قَرَابَته وَذريته، وَأما القَوْل الثَّانِي فلك ولقومك وَمن شاكلهم.

فَقَالَ مُعَاوِيَة: قَاتلك الله لقد غلبتني، أُسكت لَا أم لَك، فَمَا أعجل جوابك وأصعب خطابك! مَا أظنك منتهيا حَتَّى أُفرّق بَين روحك وجسدك.

قَالَ لَهُ صعصعة: لَيْسَ ذَلِك إليك، إنما ذَلِك بيد من لَا يُؤَخر نفساً إِذا جَاءَ أجلهَا.

فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَة: لقد فقّهكم عَليّ بن أبي طَالب، مَا تركْتُم حجَّة فَلَنْ تطاقوا، وَلَوْلَا أنني لم أجرع بجرعة أفضل من جرعة غيظ لم أُمكّنك من الْحَيَاة.

ثمَّ إن مُعَاوِيَة قال لحاجبه: أخرجه، وَأدْخل من بعده الْأَحْنَف بن قيس.

- الأحنف بن قيس التميمي:

فَلَمَّا دخل الْأَحْنَف بن قيس على معاوية، قَالَ لَهُ مُعَاوِيَة: أَنْت المطلع علينا بالغدر والناظر فِي عطفيه شزراً، أنت الَّذِي مَرّضت نَفسك بالغرور وقدمت على مفظعات الْأُمُور مَعَ إعانتك عَليّ بن أبي طَالب، وجلادك إيَّايَ إجلابك عَليّ الْخَيل وَالرجل يَوْم صفّين، وتحملك على أهل الشَّام بقوائم السيوف وَطول الرماح.

قَالَ الْأَحْنَف: مَه يَا مُعَاوِيَة، فَإِن لي مثل مَا أعرف وَمَا لَا أعرف، فَإِن شِئْت ذكّرتك مَا تعرف وأوضحت لَك مَا لَا تعرف. وَأما قَوْلك أعنت أَمِير الْمُؤمنِينَ وأجلبت يَوْم صفّين الْخُيُول وَالرِّجَال، فَأَنْتم وَالله معاشر قُرَيْش قتلتم أميركم وجررتم أفلاذه وَالدَّار منا نازحة عَنهُ، وقطعتم

رَحمَه وسفكتم دَمه ثمَّ إِنَّكُم ألزمتمونا دَمه. فوَالله، إِن الْقُلُوب الَّتِي أبغضناك بهَا لبين جوارحنا، وَإِن السيوف الَّتِي جالدناك بهَا لفي أعناقنا حمائلها وبأيدينا قَوَائِمهَا، وأيم الله مَا تَدْنُو بباع من الْغدر إِلَّا دنونا مِنْهُ بباع من الختر، وَإِن شِئْت لتصفين قُلُوبنَا بِحِلْمِك.

فَقَالَ مُعَاوِيَة: إِنِّي لفاعل ذَلِك.

ثمَّ قَالَ للحاجب: أخرجه.

(في رواية، أن أخت معاوية عندما سمعت كلام الأحنف، سألت معاوية من وراء حجاب: من هذا الذي يتهدد ويتوعد!؟ قال: هذا الذي إذا غضب غضب لغضبه مائة ألف من بني تميم لا يدرون فيم غضب – أي إن قومه مستعدون لنصرته وإجابته حتى لو لم يعلموا سبب غضبه).

- خالد بن معمر السدوسي:

قَالَ الْهَيْثَم: وَأدْخل من بعده خَالِد بن معمر السدُوسِي، فَلَمَّا دخل قَالَ لَهُ مُعَاوِيَة: يَا خَالِد، لقد رأيناك تضرب أهل الشَّام بسيفك وأنت على فرسك الْأَشْقَر العالي.

فَقَالَ لَهُ خَالِد: وَالله مَا أَصبَحت على مَا كَانَ مني نَادِماً وَلَا على مَا فعلته مصارماً، وَإِنِّي أُعيذ نَفسِي وَأَنا على ذَلِك مُقيم، وَالله الْمُسْتَعَان على قُوَّة الظَّالِمين.

فَقَالَ مُعَاوِيَة: مَا علمت يَا خَالِد مَا نذرت أَن أفعل فِي قَوْمك؟

قَالَ: لَا!

قَالَ: إِنِّي نذرت أَقْتُل مقاتلهم وَسبي ذَرَارِيهِمْ وأفرق بَين الْأُمَّهَات وَأَوْلَادهَا ثمَّ ثنى عزمي بيع الخلب.

قَالَ لَهُ خَالِد: عملت مَا عملت فِي ذَلِك؟

قَالَ مُعَاوِيَة: لَا.

قَالَ خَالِد: فاسمع مَا أَقُول: (إلى أن قال):

فَإِن كنت لَا تُعْطِي على الْجنْث فاعترف
بحَرب تحامتها اللّحى والتراتب

فَقَالَ مُعَاوِيَة: إِنَّا نعطيك على الْجنْث.

قَالَ خَالِد: أغمدنا سُيُوفنَا وأصفيناك مودتنا.

ثمَّ قَالَ لحاجبه: أخرجه.

- جارية بن قدامة السعدي:

قَالَ الْهَيْثَم بن عدي: وَأدْخل من بعده جَارِيَة بن قدامَة، فَدخل وَسلم، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَة: ما عسيت أَن تبلغ؟ هَل أنت إِلَّا نحلة ضَعِيفَة الْبدن ضيقَة الْبَهَاء؟

فَقَالَ جَارِيَة: وَالله لقد شبعتني بِشَهْوَة النطاف والحامية اللسعة، وأنت بِمَنْزِلَة الْكِير تحرق وتحيف وَلَا تطيب، وَمَا أنت بِطبيب.

فَقَالَ مُعَاوِيَة: أنت الشاهر علينا سيف صفّين فِي بني سعد بن زيد مَنَاة تُمَنّيهم الْفِتَن وتحملهم على مُقَدمَات الْأجر، مَعَ قَتلك أَمِير الْمُؤمنِينَ عُثْمَان وخذلانك أم الْمُؤمنِينَ عَائِشَة.

فَقَالَ جَارِيَة: قد كَانَ ذَلِك وَمَا أَنا بمعتذر مِنْهُ، وَأما اسْمِي فَخير من اسْمك.

قَالَ مُعَاوِيَة: وَكَيف ذَلِك؟

قَالَ: لِأَن الْجَارِيَة لَا يكون إِلَّا من قُرَيْش أَو من أقيال الْعَرَب، وَمُعَاوِيَة لَا يكون إِلَّا من آثَار الضبع، وَأما مَا ذكرت من أَمر أَمِير الْمُؤمنِينَ(يقصد الخليفة عثمان) فَأَنت وَبَنُو عَمْرو بن أُميَّة خذلتموه وقتلتموه ودارنا نازحة عَنهُ، وَأما قَوْلك فِي أم الْمُؤمنِينَ عَائِشَة فَإِنَّا نَظرنَا فِي كتاب الله فَلم نجد لَهَا حَقًّا فِيمَا ادَّعت تلزمنا الطَّاعَة لَهَا، لِأَن قعودها فِي بَيتهَا وطاعتها لِرَبِّهَا كَانَ أجدر بهَا، فَلَمَّا أَلْقَت جلابيب رَسُول الله ﷺ عَن وَجهها بَطل بذلك مَا كَانَ لَهَا علينا من حق. وَأما مَا ذكرت من حَال يَوْم صفّين، وإنما ذَلِك حَيْثُ أردْت أَن تقطع أعناقنا وَلم تنظر فِي عَاقِبَة وَلم تخف جَائِحَة، فقدمنا عَلَيْك بِالْخَيْلِ مَعَ خير النَّاس وأورعهم وأفضلهم علماً وأعظمهم حلماً، وَمَا أتيناك إِلَّا وَقد تحققنا انخلاعك عَن الْإِسْلَام، فقدمنا على جلادك على البصيرة وأنت تطلب جلادنا على الغرور والعمى، فَمَا شِئْت فافعل، وإن أردْت يَوْمًا مثل ذَلِك فخيلنا مُعدّة ورماحنا مُحدّة.

فاغتاظ مِنْهُ، وَقَالَ للحاجب. أخرجه من بَين يَدي.

- شريك الأعور الحارثي:

قَالَ الْهَيْثَم بن عدي: وَأدْخل من بعده شريك الْأَعْوَر، وَسلم عَلَيْهِ بالإمارة، وَكَانَ شريك قَصِيراً، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَة: مَا أنت وَيحك!؟

قَالَ: أَنا من لَا تنكره وَلَا تجهله، أَنا شريك الْحَارِثِيّ.

فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَة: إنك لِشَرِيك وَالله مَا لَهُ شريك، وَإِنَّك لأعور وَالصَّحِيح خير من الْأَعْوَر، فَكيف سدت قَوْمك!؟

فَقَالَ شريك: يَا مُعَاوِيَة، إنك لمعاوية وَمَا مُعَاوِيَة إِلَّا كلبة عَوتْ واستعْوتْ، وإنك لِابْنِ صَخْر والسهل خير من الصخر، وإنك ابْن حَرْب وَالسّلم خير من الْحَرْب، وإنك ابْن أُميَّة وَمَا أُميَّة إِلَّا أمة صُغّرت، فَكيف صرت أَمِير الْمُؤمنِينَ!؟ وَاعْلَم بِأَنِّي خلّفت خَلْفي أذرعاً شِداداً ورِجالاً أنجاداً وَأَنا سيدهم، أُقيم بهَا عوجك ويُقرى بهَا ضيفك ويُعز بهَا الذَّلِيل ويُذل بهَا الْعَزِيز.

فَأمر بِإِخْرَاجِه.

- رجوع معاوية لأم الحكم:

(قَالَ) ونهض وَدخل على أُخْته أم الحكم، فَقَالَ لَهَا: كَيفَ رَأَيْت يَا أختاه؟

قَالَت: مَا رَأَيْت أحداً هُوَ أذلّ مِنْك، وَلَقَد هَمَمْت أن أخرج إِلَيْهِم لأجل مَا استخفوا بك وأوعدوك من المواعيد.

فَقَالَ لَهَا مُعَاوِيَة: لَا تتحدثين، مَا نلْت هَذَا الْأَمر إِلَّا بالحلم والرفق، وَإِنَّمَا هَؤُلَاءِ نفر من شيعَة علي بن أبي طَالب.

ثمَّ أَمر بِأَن يُخلع عَلَيْهِم وَأَجَازَهُمْ الجوائز السّنيَّة وردهم مكرمين إِلَى الْكُوفَة وَالْبَصْرَة.

المصادر:

١. ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي. **البداية والنهاية**، منشورات بيت الأفكار الدولية، الرياض.
٢. الدينوري، أبي محمد عبدالله بن مسلم ابن قتيبة. **الإمامة والسياسة (المعروف بتاريخ الخلفاء)**، (١٩٩٢م/ ١٤١٣هـ)، (تحقيق: شيري، الأستاذ علي)، منشورات الشريف الرضي، قم المقدسة.
٣. الضبي، العباس بن بكار. **أخبار الوافدين من الرجال من أهل البصرة والكوفة على معاوية بن أبي سفيان**، (تحقيق: الشهابي، سكينة)، (١٩٨٣م/ ١٤٠٣هـ).
٤. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. **تاريخ الأمم والملوك**، منشورات بيت الأفكار الدولية، الرياض.
٥. الطوسي، شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي. **الأمالي**، (١٩٦١م/ ١٣٨١هـ)، (تحقيق: الجعفري، بهراد؛ الغفاري، الأستاذ علي أكبر)، دار الكتب الإسلامية، طهران.
٦. المفيد، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان. **الاختصاص**، الطبعة الأولى، (١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت.

مقالات

تصدر عن:
رضوى للإنتاج الثقافي

للمراسلات:
maqalatnewsletter@gmail.com

توضيح:
محتوى **مقالات** متاح للراغبين في الاقتباس، مع ملاحظة نسب الاقتباسات إلى النشرة.

رضوى
للانتاج الثقافي